

دلالة اللون في القصة القصيرة - دراسة في ثلاثة نماذج عراقية

المدرس سنان عبد العزيز عبد الرحيم

جامعة كركوك / كلية التربية

يتفق الكثير من النقاد على أن عملية القص فعالية عقلية لها قابليتها على التطور المتدرج والاستفادة من معطيات الواقع العياني في صور متخيلة محملة بأبعاد واسعة فضلا عن استخدامها للرمز كوحدة إرسالية مجردة او متداخلة مع ذلك الواقع، ولقد وجدت القصة العراقية الستينية مجال عطاء وافر وبخاصة لدى ممثليها التجريبيين فاضل العزاوي، عبد الرحمن الربيعي، موسى كريدي، جليل القيسي، وممثليها الواقعيين المجددين محمد خضير، جمعة اللامي، عبد الإله عبد الرزاق، احمد خلف وغيرهم، فاعمال هؤلاء تركز على الشخصية القصصية من خلال تجسيد الاضطراب النفسي الذي تعيشه⁽¹⁾، فكان اللون ودلالاته التعبيرية القوية جزء فعال ومتداخل بشكل صميمي مع النتائج الادبية الشعرية والنثرية على حد سواء وان بدت في النتائج الشعرية اكثر رسوخاً وأقدم استخداماً إلا أن ذلك لم يمنع كتاب القصص والروايات في الاستفادة من قابليتها الطيفية والتأثيرية الواسعة عن طريق تزويدها للعملية القصصية وتيارها الاشاري أبعاداً وتأثيراً أكيداً.

إن هذه الدراسة تتخذ من اعمال ثلاثة من كتاب القصة العراقية وهم القاص جليل القيسي والقاص موسى كريدي والقاص عبدالاله عبدالرزاق مجالاً للبحث عن الظاهرة اللونية عبر استخداماتها وتأثيراتها ودلالاتها النفسية التي يقصدها القاص من خلال تجريب اللون على الصعيد القصصي او تجريد اللون من خصائصه المعهودة على المستوى الفيزيائي وتحميله قابليات وإرساليات معتدلة او متطرفة.

يُعد اللون من المعطيات الرمزية المهمة في المتخيل القصصي وان ارتبط لدى قسم هام من الكتاب بالفعاليات التجريدية الرمزية، اذ يتخذ اللون حجر الزاوية في كثير من التداعيات الصادرة عن عقل القاص ليكون بذلك بطلا من ابطاله او شخصية من

شخصه القصصية، كما تمثل الألوان والأشكال وسيلة عند الأدباء في أحداث التوترات المطلوبة التي تصاحب التجربة الشعورية، على اعتبار انها مثيرات حسية متفاوتة التأثير من شخص الى آخر^(٢)، فعنصر اللون في حالة تجريده يتحول من موضعه الأولي وطبيعة عمله الاساسي الى ما أُصطلح على تسميته بظاهرة (العلاقات وتراسل الحواس) وهي ظاهرة وان بدت اوضح في مجال الشعر الا ان القاص الحديث يستفيد من آليات عمل وتفرعات الظاهرة الفنية الموجودة في الشعر في مجال عمله القصصي، اذ تتحول الحواس والاشياء من وظائفها المعهودة ومجالات اشتغالها الى آفاق رحبة جديدة، فضلاً عن اختلاط المادي مع المعنوي والظاهر مع الباطن مما يتجه باللون الى آفاق رحبة من العمل يحقق الايحاء المطلوب من اشتباك واتحاد اللون مع الصوت او الضوء عندما يتحرر اللون من خصوصيته المعهودة.

إن من المعلوم أن اللون يحمل قيمة موجية فيزيائية معينة يحدث في العين البشرية توتراً عصبياً ونفسياً معيناً، سلباً أو إيجاباً بحيث يتوصل الإنسان إلى تصور حالة مرئية معينة شكلاً وطبيعةً، كما يُلاحظ أن الحواس البشرية تقف في موقع رئيس لتقديم مختلف أشكال الصور الفنية وتلعب العين دوراً في ذلك فهو المرتبط مع مجال الرؤيا البصرية فهو المستلم الأساسي للإرساليات اللونية المعبرة؛ على اعتبار إن اللون يحمل طاقة إشعاعية بتردد يختلف من لون إلى آخر تستقبلها العين لتحللها.

إن هذه الإرساليات المرئية حاملة لطيف لوني متعدد، ولكن من الضرورة بمكان أن نشير إلى عدم الاقتصار على الإرساليات المرئية بصورها الحسية البصرية، وإن كانت الصور البصرية المستقبلية من البصر تمثل النسبة الكبرى من الصور الحسية إلا أنها ليست الوحيدة في مجال اشتغالها لان مجالات الإحساس البشري عديدة غير مقتصرة على البصر فهناك تواجد للصور والرموز المرشمة الخيالية عادة في طبقات المطبعة الذاكرية من العقل وقد استمدتها القاص من تبلور وانطباع مجمل هذه الألوان بالتوافق مع المرجعيات الخاصة بها وهي تنقسم إلى عدة تنوعات لونية بصرية وشمية وغيرها من مجاميع ومعطيات رمزية مشحونة بطاقات إيحائية كبيرة جداً وهي تمتلك صفة التشظي الدلالي ما يجعل تأويل آلياتها لاستنباط تلك الإشارات الممكنة الموجودة في فضائها

دلالة اللون في القصة القصيرة - دراسة في ثلاثة نماذج عراقية

المدرس سنان عبد العزيز عبد الرحيم

الوجودي العام أمراً مثيراً، فالقاص في هذه الحالات لا ينظر بعينه أو يتحسس بواسطة اللمس أو يستخدم أدواته الجسمية الأخرى بصورة سطحية فوضوية، بل ينقل أدواته من الحالة البدائية الاعتيادية إلى دائرة الابتكار القائم على أسس جديدة من التدوير والتنويع والتفريغ للشحنات الانفعالية، وهي دائرة من التفاعلات تأخذ في الأتساع والتعقيد شيئاً فشيئاً إلى أن تصل إلى مداها الكامل^(٣)، فاللون على هذا مثير حسي قوي مؤثر في (المخيلة) الإنسانية عامة والمبدعة خاصة وهذا ما نحن بصده الآن، هذا الخيال الذي يعبر عن نفسه بأشكال وصور ورموز عديدة فهي طريقة ناجحة للافصاح من خلال الصور الإيحائية والإشارة لا التحوير والتحويل.. كما إن الرمز وسيلة من وسائل التوصل الى تلك النتيجة.

وقد ذهب الكاتب الفرنسي روجيه غارودي الى اعتبار اللون واقعا مستقلا عندما قال : (ان المحدثين قد حرروا اللون، فاللون الاحمر الصافي والازرق او الاخضر يعتبر الان واقعا في حد ذاته وهذا يتيح الفرصة لمولد الفن التجريدي)^(٤)، كما أن المبدع كالصوفي في حالة حضور دائم بين نقيضي الثنائية اللونية (النور / الظلام)، ولا شك أن قانون اللون، كجزء من قانون العلامة، يقوم على فرضية أن الأبيض والأسود هما أساس اللعبة اللونية بأكملها فكلما زاد التضاد والتوتر بين الألوان كبرت مساحة الإيقاعات الذهنية المنتجة للصور والأفكار^(٥).

وهنا تجدر الإشارة إلى أن تأثيرات البيئة على الصعيد النفسي والاجتماعي عند القاص المنتج للعمل الابداعي هو أمر جدير بالملاحظة ويمكن الركون اليه في تحليل جوانب خفية هامة في العمل الادبي، فهي في القصة تعبر عن عالمها الزمكاني بكامل احتوائها للطبيعة وتفصيلاتها الزمانية على اعتبار (أن البيئة مليئة بالمشيرات، وان العالم المحسوس مؤلف من عدد ضخم من الكائنات الحية والجامدة ومن الظواهر الاجتماعية والطبيعية المتنوعة الأشكال والألوان والحجوم)^(٦) وعلى هذا الاساس يقف اللون في حجر الزاوية عند كثير من المبدعين عندما يستمدون من بيئاتهم الأفكار والرؤى وما يصاحب ذلك من ارساليات فكرية مهمة قد لا يلتفت اليها الدارس العابر فاللون المتأني من

معطيات النص وتداعياته مرتبط مع الرؤيا ودرجة حدته عند الكتاب الامر الذي يؤلف جانباً مهماً في النص القصصي الحديث.

إن اللون عادة ما يستفز القاص المحمل بعبء القوى النفسية الضاغطة، كما يستفز القارئ المرهف الاحساس فهو عند القاص مؤثر شديد الاهمية فضلاً عن كونه محمولاً إرسالياً مثيراً معوضاً عن قدر غير قليل من التعبيرات المباشرة، اما عند القارئ فان الارساليات اللونية غالباً ما تشد هذا الاخير وتقوده الى عوالم غامضة رمزية وان كانت تلك المحمولات والإرساليات تجريدية على الصعيد الصوري، وهنا يلعب الخيال دوراً كبيراً في تحديد طبيعة الارسالية اللونية ونمطية عمل هذه الارسالية وهي عادة ما تكون مثيرة وفكرية، فقد دلت المكتشفات الحديثة ان الإنسان القديم قد استعان باللون بصورة كبيرة في التعبير عما يريد الافصاح عنه، ظهر ذلك على جدران الكهوف ومقابر الملوك ورجال الدين وارتباط ذلك بعوالم الميتافيزيقيا وقضايا شغلت بال الانسان منذ آلاف السنين كالحياة والموت والثأر والانتقام والخوف والفرح ولعل المطلع على حضارات الامم في العراق ومصر والهند والصين والانكا والازتك والمايا في أمريكا الجنوبية يجد الكثير من ذلك، وهنا نشير الى ما ذهب إليه (يونغ) عالم النفس المعروف في تحليله النفسي للفن عندما وصفه بأنه أشبه ما يكون بالحلم وان التجارب الإنسانية البدائية عبارة عن رواسب مختزنة لطفولة البشرية [مراحلها البدائية] الأمر الذي يعيدنا إلى ما اشرنا إليه من أن اللون يعتبر من بين أقدم وسائل التعبير البشرية، وقد وجد صداه عند الأديب والفنان المعاصر في شتى الأعمال حتى أشدها فنتازية إن الحديث عن المخيلة والخيال على علاقة بالعلوم النفسية كما الأدبية فالصورة هي إعادة إنتاج لمشاهدة سابقة أو تجربة نفسية مؤثرة لموقف أو حادثة مطبوعة، سمعية أو بصرية أو غيرها. ويصل الأمر أحياناً بالقاص إلى تعدد صوره ورموزه المتخيلة عالية الدلالة من صور صوتية وصور حركية وصور سيكولوجية عُصايبية عندما يصبح المنتج الأدبي خاضعاً لمؤثرات خاصة غير سوية^(٧).

فالمصور المنتخبة والمنتجة من خلال كل هذه السلسلة التفاعلية يحقق للمبدع فض الاشتباكات الخارجية مع واقعه العياني المباشر والذي يعوضه المجال الحيوي

دلالة اللون في القصة القصيرة - دراسة في ثلاثة نماذج عراقية

المدرس سنان عبد العزيز عبد الرحيم

المتاح والمتأتي من الحرية التي يسمح بها خيال المبدع وحساسيته، وهنا يجب ان نميز بين اللون على صعيدي التصوير الواقعي والتصوير الخيالي، فخيال المبدع جهاز توليد للأشكال الحاضرة والمزاحة من الوعي وهي تقوم بالتعامل مع نوعين من التخيلات :

الأولى: المخيلة المستعيدة (المتذكرة) إذ يستعيد الذهن تلك الصور الواقعية المرئية المطبوعة والمستقطبة من قبل الوعي او الشعور وهي وإن ازيحت مؤقتاً ووضعت داخل رفوف الذاكرة، الا انها تبقى قابلة للاثارة عند تعرضها لمثير ما حيث تتحرر من سكونها وسباتها.

الثانية: المخيلة الخلاقة وهي مخيلة حساسة وذكية تنتج صوراً جديدة تتضمن في جانب اساسي

منها الالوان التي تعبر عن خلجات نفسية معينة ورؤية للعالم المتصور الذي يراه القاص مختلفة جزئياً او مغايرة كلياً عن الصور السابقة المطبوعة داخل الذاكرة يؤدي إلى بناء صور جديدة تامة تبرز فيها الانفعالات الداخلية والخارجية من خلال اللغة المناسبة القادرة على حمل عبئ الانفعالات المصورة التي قد تتطرف أحياناً، ففي الأول لا يتجاوز عمله حيز الوصف الواقعي بينما هو في الثاني يراقب ويحلل ويبدع^(٨).

لقد تلقف القصاصون ما تتيحه الألوان من مجالات خصبة في عالم الكتابة القصصية فاهتموا بالفنون التشكيلية وخاصة الرسم، فضلاً عن اختراق الصورة اللونية لعوالم اللاوعي والشعور الداخلي للإنسان وهي جميعاً مثيرات نفسية كامنة في اللاوعي البشري منذ القدم، حيث الأشياء الواقعة في مرمى التلقي والتصوير قد طبعت وخزنت في ذاكرة القاص ولا وعيه حتى وإن تجاوزها الى عوالم جديدة مغايرة واقعيّاً، فكانت الطبيعة وتشكيلاتها من ماء وقصب وغابات وحيوانات، والمتشحة بشتى الألوان المثيرة للقاص، مثل هذه الأجواء إذا ما وقعت تحت سلطة القدرة والحكم والتوجيه تغدو أصيلة وقوية ومعبرة، ففي الخيال يقع شكل من الصهر للذاكرة المحررة من القيود وأعني به قيود

التجربة المباشرة (الواقع المرئي)، كما أن باستطاعة الخيال الإغارة على مجموع التراكمات التصويرية الموجودة في الذاكرة وإعادة إنتاجها من جديد عبر تقليبها باستمرار أو استدعائها لخلق صورة جديدة مبتكرة فنية.

وبالعودة الى توظيف اللون في القصص الحديثة نجد إبداعات بعض الكُتاب تتقدم عبر استخدام تقنيات مختلفة للتأكيد على عمق قدراتهم الفنية وخاصة في استخدام وسائل (تراسل الحواس) القائمة على تفسير الفعاليات الحسية الواقعية من خلال تغيير وظائفها فكان ان وقع اثر ذلك على اللون كإحدى الإرساليات المحسوسة عبر العين فاصبح من الممكن عند بعضهم اعطاء قيمة سمعية او شمعية للون من خلال ربط الاخير مع شيء موجود ومحسوس مطبوع في الذاكرة او اللاوعي سابقاً كما هو الحال مع الخضرة والربيع عندما يكون للعطور وكل مقتنيات المساحات الخضراء في هذا الفصل حاملا لدلالات لونية اكيدة في منظومة خيال الانسان، دلالة تقوم على الخضرة بما تحمله من مساحات لونية كبيرة وقيمة تصويرية مهمة لانها تعمل على توظيف اللون في عملية نقل الاحاسيس سواء اكانت مجردة او محسوسة الى مستوى اشاري رمزي عظيم الاهمية. وهذا يعني ان اللون عنصر اساسي في الفعالية الرمزية التجريدية حيث يتحول اللون من كونه مدرك بصري مجرد الى عمليات ايحائية ذات دلالات رمزية اكيدة.

أساليب توظيف الألوان عند القصاصين موضوع الدراسة

لقد حافظ اللون على صدارته في التأثير على مخيلة الأدباء فهي مادة دائمة الحضور في الأعمال الإبداعية الراقية حيث التمثيل الجيد للون وحضوره الطاعي في قصص العديد من القصاصين العراقيين الأمر الذي ينبئ عن تجارب نفسية فياضة، لذلك فلا غرابة من محافظة اللون على هذه الصدارة.

إن إدامة المراقبة والاطلاع على الأعمال القصصية عند هؤلاء القصاصين على الرغم من وصف البعض لهذه الأعمال بأنها تتجه نحو التطرف والذوبان في التجريد والرمز إلا أن مثل هذا الاعتقاد لا يعبر عن كامل الحقيقة في كون مثل هذه المنتخبات ليست وليدة المبدع المعاصر وإنما تعود إلى فترات سابقة قديمة وجدت آثارها في قصص

وأشعار القدامى كما المحدثين وقد أكدت التطورات المعاصرة على أصعدة الدراسات النفسية حقيقة تأثيرات هذا المعطى المسمى (اللون).

لقد تلقف القصاصون ما تتيحه الألوان من مجالات خصبة في عالم الكتابة القصصية فاهتموا بالفنون التشكيلية وخاصة الرسم، فضلاً عن اختراق الصورة اللونية لعوالم اللاوعي والشعور الداخلي للإنسان وهي جميعاً مثيرات نفسية كامنة في اللاوعي البشري منذ القدم، حيث الأشياء الواقعة في مرمى التلقي والتصوير قد طبعت وخزنت في ذاكرة القاص ولا وعيه حتى وإن تجاوزها الى عوالم جديدة مغايرة واقعياً، فكانت الطبيعة وتشكيلاتها من ماء وقصب وغابات وحيوانات، والمتشحة بشتى الألوان المثيرة للقاص، مثل هذه الأجواء إذا ما وقعت تحت سلطة القدرة والحكم والتوجيه تغدو أصيلة وقوية ومعبرة، ففي الخيال يقع شكل من الصهر للذاكرة المحررة من القيود وأعني به قيود التجربة المباشرة (الواقع المرئي)، كما أن باستطاعة الخيال الإغارة على مجموع التراكمات التصويرية الموجودة في الذاكرة وإعادة إنتاجها من جديد عبر تقليدها باستمرار أو استدعائها لخلق صورة جديدة مبتكرة فنية.

١- توظيف اللون عند القاص جليل القيسي

إن الغوص في عمق فكرة الإرسالية اللونية عند القاص جليل القيسي أمر مثير فأننا سوف نقرب أكثر من قيمة الدلالة الرمزية لهذا اللون عن ذلك والذي يتراوح بين دلالات أولية بسيطة وأخرى عميقة تتحقق عن طريق التجربة الطويلة والفهم العميق الأمر الذي يشكل مقتربا عظيما من مقتربات الفن الأصيل له دابنميته الشديدة وقدرته الفنية المحققة لقدر كبير من التأثير والتعزيز وهو ما يؤكد إن فعل الخطاب القصصي كإرسالية لا يقتصر على الجانب اللغوي والمكونات الغراماتولوجية [علم الكتابة] الأخرى وحسب بل دراسة كل الأنظمة السيميائية للنص وعلى رأسها سيمياء اللون ومظاهرها الدلالية وتأثيراتها النفسية والاجتماعية.

وعند تتبع التشكيلات اللونية في قصص القاص نجده منشغلاً بالظاهرة اللونية، وهو المأخوذ بالتجريد والتجريب وعوالم الفنتازية والأسطورة كما إن نصوصه مليئة

بالانزياح وقد تراوحت الألوان الموظفة لديه بين الأبيض والأخضر والأصفر والأحمر والليموني والأزرق، وهذا يعني أن اللون يقوم مع سائر الأدوات بأحداث خلخلة للبنى الساكنة والرتبية في النفس المبدعة وإشعال النار الموجود تحت الرماد بغية الوصول إلى التوترات السيكلوجية الضرورية لصيرورة الخطاب الإبداعي ومن ثمة نقله إلى المتلقي الذي يقبع ذهنه في زنزانة الوحدة والفراغ، وقد وردت الألوان في قصص القيسي متنوعة وعميقة الدلالات وهي كالتالي:

الأبيض

إن من الواضح أن اللون يحمل دلالة سيكلوجية هامة تعزز مجمل الفعالية الإبداعية فهو على هذا الأساس (جزء من خبرتنا الإدراكية الطبيعية للعالم المرئي واللون لا يؤثر في قدرتنا على التمييز بين الأشياء فقط بل ويغير من مزاجنا وأحاسيسنا)^(٩)، وهذا ما يحدث مع اللون الأبيض الذي يُقدّم منتوجاً أشارياً موحياً فهو لون قابل للمطاوعة في أي اتجاه سلباً أو إيجاباً وإن كان الغالب عليه المحمولات الرمزية الايجابية، فالقضية تعتمد على مهارة القاص وقدرته على تطويع اللون للاتجاه الذي يراه متوافقاً مع رؤيته الفكرية النفسية كما في قصة زليخة البعد يقترب:

((وأدخلتُ بعملية ميكانيكية في قفص حديدي كبير مثبت على عربة يجرها

حصان أبيض متين))^(١٠)

فاللون الأبيض يشير الى مضمون سلبي بدلالة صورة فعلٍ قسري عنيف وآلي

(أدخلتُ).

وفي قصة (الضفة الأخرى من البحر) هذا المقتطف اللوني ((وبعد جري طويل، انتهيت إلى مكان يغمره ضوء ابيض شبيه بضوء الشمس فرأيت مصيدة كبيرة جدا في وسطها قطعة جبن كبيرة ومجموعة من الهياكل العظيمة متناثرة في أطراف المصيدة. وغمرني الضوء بدفء لذيذ، فشعرت بدغدغة مثيرة.. اقتربت لألمس الجبن، رأيتني في المصيدة التي أطبقت علي بقوة وأنا عارٍ تماماً))^(١١)

دلالة اللون في القصة القصيرة - دراسة في ثلاثة نماذج عراقية

المدرس سنان عبد العزيز عبد الرحيم

فألضوء الأبيض يرمز في الأصل الى النقاء والسلام يستحيل الى كائن حي يمتلك خصائص الاحاطة والايذاء وما اللون الابيض والدفاء المتولد عنه الا كمائن مجهزة. أما في قصصه ذي الاتجاه الواقعي فأن للأبيض خاصية مشابهة كما في (تلال الملح) إذ يتكرر سلبية وقهرية اللون الأبيض: ((.. رأى الزنوج مثل مئات الجزر السوداء منتشرين فوق الأرض المكسوة بالملح اللاهث البياض..))^(١٢)

ليغدو اللون الأبيض رمزا للخوف والإرهاق والقسر أما الأسود فانه بات رمزا مستلبا أو معادلا غير مباشر للإنسان المستغل.

الأخضر

لقد أظهرت الدراسات إن اللون الأخضر يمنح الهدوء ويعطى نوعا من التوازن النفسي وينصح به في النوبات العصبية أو الغضب إلا انه ينزاح عن هذا المعطى العلمي والنفسي عند القاص جليل القيسي ليتجرد من معانيه المعهودة إلى معاني عميقة الدلالة، كما في قصة (زليخة البعد يقترب) : ((.. ألقيت نظرة طويلة من خلال قضبان القفص، فرأيت وجوها عابسة، وابوياً خضراء مغلقة وجدراناً مصبوغة بلون اخضر..))^(١٣)

وهذا اللون وإن كان يدل على الخصب والنماء والأمل في المستقبل والشباب، فضلاً عن انه يشير إلى التجدد الدائم والتغيير، إلا انه أيضا لون القسر والطغيان، فهو جامع للمتناقضات، ففي عالم القيسي المضغوط يصبح لكل شيء دلالة موحية شديدة الإثارة، فلا غرابة أن يتحول اللون الى حالة مستقلة بذاتها، فالأخضر لم يعد يحمل السيمياء المتعارف عليه من الربيع والنماء بل رمزا للجور والبطش وتبعاً لذلك يتحول المكان الذي يحتويه الى (إطار صلب للوجود السري)^(١٤).

البرتقالي

وهذا اللون من الألوان المثيرة والمشكلة كغيرها من الألوان المسببة لمشاعر متناقضة أو متألفة عند القاص عند تعاطيه معه، ومن حيث المبدأ فأن البرتقالي يمنح الإنسان الإحساس بالحوية والانطلاق والبهجة، ويعتبر هذا اللون جامعاً لعدد من الألوان

الفعالة المؤثرة والتي لها مدلولها النفسي وهي ألوان الأحمر والأصفر والليموني فاللون البرتقالي = [الأحمر + الأصفر] جامع لفعاليتين متضادتين الأولى الحيوية والانقراض [الأحمر] والثانية الرغبة في التراجع وعدم المواجهة [الأصفر] والصراع بين هاتين الإرادتين ينتج الهروب والبحث عن مخرج من المواجهة كما في قصة (لحن في قاع أزرق): ((كان يتبعني ضوء برتقالي من فانوس مختق وكنت اركض بسرعة جنونية لأصل إلى القاع هل ثمة قاع في هذا الوجود))^(١٥).

وإذا كانت قصص مجموعتي القاص (سهيل المارة حول العالم وزليخة البعد يقترب) يزخران بالبنى اللونية الانفجارية الحاملة لثيمات سلبية، فان مجموعة القاص الأخير (مملكة الانعكاسات الضوئية) زاخرة بالبنى الايجابية المنطلقة من عقل الشخصية المتوحدة والتي تحمل دلالات هرمنوطية (تأويلية) سعيدة بصورها ورموزها المكثفة، لاسيما إن الالون تتدخل في مجمل التشكيل السوري في مجال اشتغالها الرمزي لتتمكن لاحقاً في توجيه الخطاب ؛ بالشكل الذي يكون لكل لون تأثيره ومدياته الخاصين في تيار الرؤية العام^(١٦) كما في قصة (نيدابة) حيث هناك إطلاق مكثف للونين الليموني والبرتقالي: ((كان لون الفانوس بلون الليمون الذابل يعطي مذاقا رومانسيا لليل، والغرفة الحزينة المنظر.. جلست بكبرياء حول مقعد مصنوع من القصب، الهى لديها قلب شفاف مثل البلور))^(١٧)

فالتشكيل السوري يتكون من لونين براقين مثيرين والتي يجمع بينهما الحرارة والنضج والحوية وهما الأحمر والأصفر، ويواجهنا القاص بمقذوف لوني مماثل في قصة (الميثوبي): ((الجميع يشعرون معه بالطمأنينة، والأنس.. لقد بدأت أحبه أنا الأخرى... دعوته لزيارتي.. خطا الى الغرفة على رؤوس أصابعه ووارب الباب بهدوء، ويعينين ناعستين مسح الغرفة التي كانت مضاءة بمصباح خافت.. كان كل شيء بلون الليمون، لوني المفضل))^(١٨)

فاللون الليموني يماثل عند القاص كل مقترب يوتوبي جميل، لان اثر الأصفر فيه يجذبه نحو الهدوء فالأخير اقرب إلى المهادنة والاسترخاء، بينما في قصة (مملكة الانعكاسات الضوئية) هناك الأجواء الاحتفالية حيث السلام والسكينة عما أخيراً :

((خارج قصر الايزاجيلا كانت السماء تمطر نورا ذهبيا، وكنت مليئاً بالغبطة لان السلام سيعم الأرض كلها، وسأقابل رجالا عشقتهم منذ أن عرفت فكرهم.. مشيت بخيلاء وحاشية من الآلهة تتبعني.. وأتأمل نور الشمس وهي تعانق الأرض بحب، وهو، أحيانا بلون اللازورد، والبرتقال يسقط على آلاف الرجال والنساء..))^(١٩)

فألوان الفرح الليموني واللازورد والبرتقال تساهم مساهمة مباشرة في تعميق تشكيلات الجو العام للفعاليات الكرنفالية الزاخرة بمعاني الانطلاق والنشوة حيث يفقد الزمن مكوناته الفيزيائية (الكرونولوجية) المتعارف عليها فهناك عبور وانطلاق ثم هدوء مرة أخرى ليعاود بطل القاص العملية من جديد، وهذا الزمن [زمن ذهني] في الأساس يحاول القاص من خلاله الاستعانة بالوسائل الفنية المتاحة لتمكنه من إدراج المتخيل ضمن حدود أفق الصورة.

وإذا كانت مشكلة الزمن وتقسيماته الكرونولوجية الى أحقاب وتواريخ لا تشكل لدى القيسي معضلة لان خياله يتيح له التعامل الحر معه فان ذلك ينزاح الى المكان أيضا كما في قصة (نيدابة) التي سبق الإشارة إليها: ((غابة من القصب وصحراء من الماء، ارتعاشات من الأضواء.. أضواء آلاف الععاسب تتواضع في الليل.. وأضواء مركبة غريبة..))^(٢٠)

فهنا تلعب التشبيهات والاستعارات دورا أكيدا في بلورة فكرة السعادة وهو ما يتناقض كليا مع ما سنراه لاحقا من دلالات نفس المعطي البيئي زمانياً ومكانياً عند القاص عبدالاله عبدا لرزاق.

الأزرق

إن الأزرق يُعد مسكنا ناجحاً للأعصاب ويساعد على الاسترخاء لكن هذا لا يعني أن القاص يتعامل معه من هذا المنطلق الأولي العام بسطحية، فهو بعد أن يدخله إلى حجرة التفاعل الوجداني وعبر الآلية المتخيلة يُخرج لنا هذا اللون مجرداً من صفاته الأولية المباشرة ليكون الأزرق عنده عضواً قويا الشكيمة في دائرة الصراع بين الحياة

والموت الذي يُولد شعوراً بأزليتها، وهذا ما نلاحظه مع اللون الأزرق : ((لكن منظر الجثة بدأ يبث الخوف في داخلي وأنا أهدق إلى الوجه الأزرق، واليدين الطويلتين اللتين كأنهما لم تكونا...))^(٢١)

فالأزرق لون بارد ممتص للحبوية داعي الى المهاندنة وهونها معادل موضوعي للموت والتوقف السلبيين.

إن الانزياحات الحاصلة في دلالة اللون النفسية تعد إبداعاً بحد ذاتها وليس كما يُتصور انحرافاً دلاليّاً سلبياً، لأن مهمة المبدع ليس تصوير الواقع بصورة آلية (فوتوغرافية) دون تشذيب أو تحويل أو تغيير وإنما أن ينعكس هذا الواقع على ذاته ويتشظى إلى عدة أشرطة ليستحيل في النهاية بنية مثيرة رؤيوية أعمق للواقع، وعلى هذا الأساس من الممكن أن يصبح لون الماء احمرّاً ولون العشب اسوداً فهذه وغيرها جائز في مخيلة المبدع لان مدلول الخطاب ليس في حاجة إلى مطابقتها مع الواقع العياني بصورة قسرية خارجية مباشرة لإثبات مصداقيته، لان رموزها الدلالية واللون خاصة مشبعة وقادرة على إنتاج دلالات مستقلة؛ وبهذا فإن المبدع يُغني الحقل المعرفي الدلالي بأطروحاته.

٢- توظيف اللون عند القاص موسى كريدي

عند محاولة الدخول إلى الإرسالية التعبيرية عند القاص موسى كريدي يتبين لنا إنها عاكسة لفهم عام وخاص لطبيعة المعطي اللوني، عام إذا ما كان اللون مسائراً لطبيعة فهمنا كمنتوج نفسي واجتماعي لدى اللاوعي الجمعي عند الأفراد كما هو الحال مع الأخضر الذي يدل في اللاوعي الجمعي على الخضرة والنماء، وهو قد يكون منتجاً خاصاً عند الذين يعكسون هذا المعطى اللوني على الصعيدين النفسي والاجتماعي، لأنها تعني القسوة والجمود وحياة العسكرية، وهذا يعكس بطبيعة الحال أن اللون مرتبط أساساً بمجموع ترسبات الخبرات في اللاوعي الجمعي في حالة كونه منتجاً مرتبطاً بالفهم العام أو انه ناتج عن خبرة سيكولوجية خاصة في اللاوعي الفردي عند آخرين بحالته الخاصة وهو في كلا الحالتين يتشكل من خلال طبيعة الإدراك الخاص وطرق التناول، فاللون عند القاص يتحول إلى وسيلة إيصال لفكرة ما وهو يحمل دلالة تعبيرية صارخة عن المل

دلالة اللون في القصة القصيرة - دراسة في ثلاثة نماذج عراقية

المدرس سنان عبد العزيز عبد الرحيم

والتوق إلى الابتعاد عن الفضاء المدني فشخصياته تعاني من سلطة المزاج النفسي الخاص المغترب عن المجتمع فلا غرابة ان بدت الوانه باهتة تميل الى الاصفرار ولون الرمال، وهي كلها من إفرازات بيئته سرعان ما أدت بالمخيلة المتوقدة الى التأزم منها بعد مقارنتها مع الواقع؛ وسرعان ما نرى ذلك من خلال الألوان التي يختارها القاص للتعبير عن صرخته وتبرمه، وهذه الألوان تنوعت بالشكل الآتي:

الأسود

ففي قصة (الحية) هناك وصف للمدينة: ((امتلاً صدره منذ صباه بطوفان من البكاء، وشعر ان هذا الطوفان لم يكن يغرق ساحات مدينة - ن - واسواقها المجللة بالسواد فقط.. وفي الردهات، هنالك دم يسيل، وضباب يرتفع، وحرائق تشتعل، وعربة تلو عربة تحمل شمعات كهربائية صغيرة.. الخيل وهي تشق الزحام بهودج مرفوع، واردة خُضِرٍ وخُمِرٍ وسودٍ تلمع تحت لهب الشمع الذي يرقصه صوت نادبة تصرخ او نادب يستغيث عبر اصوات حراء))^(٢٢)

فاللون الأسود وما يمثله من حزن وألم وفراق قد احتوى وأحاط هذا العدد من الألوان الشاملة لعدة مدلولات عاطفية من إقدام وثأر الذي يمثله الأحمر ومعاني الحياة والنشاط في الأخضر.

وكما في قصة (دوار وتلج في نهار قصير) : ((ترى أكان هذا العالم الصغير البريء يثير ضجري... ومات تساؤلي حين ألفت نفسي توقد مرة ثانية في نهر جليدي وكان السأم إصبعا محروقةً تعبت في الشغاف، والحزن منقاراً اسود يغلغل الفؤاد إن حاولت أن اكسره لعلي أجد راحة لكني أبصرت حولي ألف منقار يكشف عن ألف وعاء هرم))^(٢٣)

فالأسود يحمل دلالات الحزن والعجز وله أسلحته (منقار اسود) يوازره ألف منقار، فهو سلب يمثّل تخلياً واستسلاماً له تأثيره القوي على سائر الألوان.^(٢٤)

الأسود والأصفر

وتتكرر مثل هذه المرجعيات البيئية في قصة (إزاء السور والجسد) حيث تغطي الألوان الباهتة الحاملة لدلالات الفناء والموت ((الآن يختفي وجه ابيه تحت رمال ناعمة ومع غياب الوجه الشبيه بأسفنجة سوداء متجمعة في قبضة كف تزاحم راسه يقظة مفاجئة.. اخضر حباته صغيرة صعقته المفاجئة كانها الدهشة ثم رسمت لعينه في اللحظة قوس الذهول المصطبغ بالوان الطيف الشمسي..))^(٢٥).

فالسواد الغائب تحت الرمل الاصفر طغيان للالوان الباهتة على الألوان الحادة المباشرة وعن طريق هذه المطابقة اللونية بين الأسود والألوان الفاتحة من صفراء وبيضاء وبنية كانت هناك عملية استبدال في الدلالة اللونية ليحيل الأسود إلى العدم والتراجع أمام مد هذه الألوان الفاتحة، وكان تشبيه المفاجئة الحاصلة من هذا الاكتشاف ببرعم صغير اخضر سرعان ما ينمو ليتوافق اخضره مع اخضر القيسي في دلالتها السلبية.

اللون القمحي (الحنطي)

وإذا تأملنا في شخصيات القاص مورفولوجياً أي من خلال الملامح الخارجية وخاصة الصورية منها حيث يرتبط ذلك مع موضوع الدراسة نكتشف الوانا معينة تبرز واضحة المعالم كما كان في قصة (إزاء السور والجسد) نجد ذلك أيضاً في قصة (رواق منتصف الليل) : ((استدار فيما حولي فبدت قامته في ضوء النهار أطول مني. أبطأت السير ثم توقفت بإزاء وجهه أتأمل لونه القمحي، فوضى شعره المتفرق على صفحتي صدغيه))^(٢٦).

فألوان الوجه هي بين الحنطي والاسمر الغامق وهي دلالات انطلاق للقاص في تعبيره عن أبناء بيئته وما يتوافق مع رسمه لصورة بيئة معينة قائمة على سيطرة مفرطة للألوان معينة بذاتها في بنية مأساوية الدلالة.

الأبيض

إن اللون الأبيض رمز للنظافة والنقاء وبيعت الصفاء في النفس ويسهل مزجه مع أي لون آخر إلا أن مدلولاته تحتل مكاناً خاصاً عند القاص عبر آلية الانزياح الفكري

دلالة اللون في القصة القصيرة - دراسة في ثلاثة نماذج عراقية

المدرس سنان عبد العزيز عبد الرحيم

المؤثر في الناتج السوري ليستمر التعاطي مع الأشياء تعاطياً مثيراً وانقلابياً من خلال الخطاب السلبي المؤثر كما في قصة (نداء البحر): ((ثمّة قوس ابيض من الرمل يمتد لسانه حتى منحدر الماء الذي لاح لك الآن ساكنا سكون الموتى تراه يلمع تحت البصمات التي طبعتها خطاك البطء عموديا يتوهج كالرمل..))^(٢٧)

فهناك زحف متوحش للصحراء لألتهام الماء أي بمعنى اخر هجوم الابيض المائل الى الأصفر (الرمال) على الأزرق انه لون ((النعم مقابل اللا... والبداية مقابل النهاية))^(٢٨)، إن البياض -في استخدام العرب اللغوي- لا يدل على النضوع والصفاء وحسب لكنه وصف لكل لون فاتح فهو يفقد أحياناً إيجابيته لينتقل إلى النقيض، مثل هذا التنوع في الرؤية للأبيض عند موسى كريدي وانتقاله من حالة يوتوبية ايجابية الى حالة السلب لهو دلالة كمنوية على قدرة تخيلية فائقة النشاط والإثارة متوافقة مع نظرته الكونية الشاملة القائمة على تراجيدية الصراع المُقنع بأغلفة السكون والصمت الإشكاليتين.

الأحمر

وهذا لون مثير يشترك الكثير من القصاصين على اعتباره لون القوة والعنفوان والطغيان أحياناً فهو رمز للطاقة وباعث للنشاط في النفس ويُعد شاحداً للهمة والنشاط، إلا إن القاص موسى كريدي يقرب هذه الصورة من خلال تفعيل آليات الصراع بين مكونات الطبيعة، ليقع هذا اللون ضحية أمام قوة خارقة الاستحواذ والذي يتمثل بالصحراء فهو لا يتوقف عند حد التهام الأزرق (الماء) بل يقوى على امتصاص مادة الحياة البشرية المتمثلة (بالدم) عبر اختلاطه مع الاخير:

((لا تدري بعد ذلك كيف اهتزت الريح وأومضت واختل الصمت ؟ كيف تلتطخ الرمل باللون الأحمر حين دوى في الفضاء صوت الرصاص))^(٢٩).

فالأحمر هو الآخر يقع فريسة الابيض والاصفر وسائر الالوان الباهتة ووكأن الهدوء والوداعة التي يمثلها الابيض ما هو الا قناع زائف يتقنع به ليقضي على مكونات الحياة الاساسية وخاصة الانسان والماء عبر التهامه لهما دون ان يشبّع او يرتوي.

إننا لو أخذنا اللون الأحمر سنجد أنه يُرسم بمعنى العذاب والحرب والألم والجرح الداخلي، وفي مكان آخر يعني الحب والعواطف، وفي مقابل ذلك نجد الأحمر الداكن داخل البيوت لون الوقار والفخامة، وفي موضع آخر يعني القوة والشجاعة، ويكون كل ذلك في البيئة نفسها والمكان نفسه ولكن موضعه هو الذي يحدد هذا المعنى وماذا يعنيه.

الأبيض والاخضر والفضي

وإذا انتقلنا الألوان الايجابية عند القاص موسى كريدي نجد لاجتماع الألوان الأبيض والاخضر والفضي معا معطى دلالي ايجابي كما قصة (الحلم) حيث تتخلل بنية السلب والتشاؤم ليقعان في عالم آخر؛ عالم اللاوعي في صور (اليوتوبيا) النابعة من الأحلام ((دخل - خليل السعد - متباطئاً وما أن اجتاز العتبة ببضع خطوات رأى برك الثلج وهي تتناثر عبر الحقول، والأحراش وبهر عينيه الضوء الذي ألفاه يحيط به لهباً ابيض كالفضة كان يرسل دفناً غير مألوف مما دفعه لان يوغل نحو عمق الشوارع التي لمحها مغطاة بأقواس شجر اخضر، وميز أشجار البلوط، والهور..))^(٣٠).

فالقاص يستخدم عدة أبنية في الصورة الأليفة إلى نفسه ووجدانه، تتمثل (بالثلج الأبيض) رمز النقاء والطهارة (ولون الفضة) وهو لون حيادي ساكن وآمن ويشكل تألفاً لونياً مع الأبيض و (الشجر الأخضر) وما خلفها من إثارات ايجابية وسرور وأخيراً (شجرة البلوط) الذي يرمز إلى الهدوء والوقار والأمان بجذوره الداخلة في أعماق الأرض فهذه جميعاً صور يوتوبية ايجابية تنتشر في خطاب القاص المأخوذ بتلك العوالم الدافئة إلى نفسه ووجدانه تخرج ألينا عبر تلك المخرجات الدلالية.

إن إدراك القاص يعتمد على تحسسه لعالمه النفسي الداخلي الأثير لديه، أنعكس على طبيعة الأشكال وغناها الدلالي في حالة إنتاج لرموز وصور معبرة. وهذا بالضبط ما يسمح به اللون، أي توسيع التشكيلات الفنية بالتوافق بين المعطيات والمرجعيات الفضائية العامة والقيم السيكولوجية في اللاشعور، على اعتبار أن البيئة ليس معياراً جمالياً وحسب بل مؤثر فعال في توافقات القاص الداخلية [النفسية].

ألوان القوس قزح

مثل هذا التيار النفسي الخيالي يترسخ أكثر في حالة الأحلام كما في قصته (قوس قزح بعيد): ((ومثلما يتسع الحلم، وتتسع الخارطة وتستطيل أو تمتد ظلالها حتى لتكاد تنعدم فوق أديمها كل الخطوط والتعرجات والحدود والموانع.. انمحي وجهها إذن وانمحت الألوان كلها وما عاد لها سوى ذلك الوهج البعيد، فكان انبثقت في عيني الصبي الحالمتين، خلال ذلك كله، جزر خضر وبيارات يرتقال امتدت على مقربة منها منحدرات تلال قرمزية وأرخبيلات بلون قوس قزح.. وفيما وراء غابة ما رأى شلالاً أزرق، وثمة على امتداد جادة البحر ترامى أكثر من بلاج، وأكثر من ساحل))^(٣١).

فاللون الأزرق هنا يشير الى حاجة ماسة وبحث عن الهدوء والسكينة والأمان التي يمثلها الماء من بحر وشلال.

فهناك تبلور واضح في مخيلة القاص عن عالمه المفضل القائم على سلسلة من المعطيات اللونية المتفاعلة في بيئة غير خاضعة لسلطة الزمن الكرونولوجية وهو ما شاهدناه عند القيسي إلا أن الأخير لم يعطي للصورة المكانية خصوصيته فكل الأمكنة لديه جميلة إذا ما توفرت فيها شروط الصورة اليوتوبية بينما عامل المكان محدد أكثر عند القاص موسى كريدي كما ظهر في قصتيه (الحلم، وقوس قزح بعيد) انه كل مكان يظهر فيه عدد من العناصر وهي الثلج والماء وألوان قوس قزح السبعة وهي عناصر لا يقبل القاص التخلي عنها، وعند تحليل هذه العناصر نكتشف إن يوتوبيا كريدي يمزج بين الأبيض وألوان الطيف الشمسي وخاصة الأزرق وهذا ما لم نراه عند جليل القيسي.

٣- توظيف اللون عند القاص عبد الإله عبد الرزاق

لقد اتخذ اللون لدى بعض الكتاب ومنهم القاص عبد الإله عبد الرزاق جانباً خاصاً جداً مليء بالتجريب والتجريد وأشكال من الزخرفة والتعقيد الذي يكاد يكون مقتربا (باروكياً) وهو أسلوب في التعبير الفني انتشر في أدب القرن السابع عشر يتصف بدقة الزخرفة وغرابتها وتعقيدها وعند دراسته يمكن التوصل إلى فهم استراتيجي (جمالي) مثير قد يكون مفتاحاً لدوال الكثير من النصوص انه قد يكون تعبيراً اغترابياً نامياً اكتشفه

القاص بين مكونات الطبيعة الأساسية من جهة ومعانيها السطحية المباشرة التي ترد إلى ذهن لأول وهلة ليتشكل عنده شعوراً بالتفرد والتميز في شخصيته لاكتشافه هذا ولدى محاولة فهم مثل هذه النصوص معقدة الإرساليات علينا أن نكون على معرفة بنمطية الرموز المنتجة لأنها قد تكون في غاية التعقيد يصعب معها فك رموزها ودوالها بسهولة وقد تقودنا إلى عكس الرؤيا المعنية.

إن التفاعل اللوني يظهر جليا عند القاص عبد الإله عبد الرزاق، فالألوان عنده هي ترجمة صريحة ومباشرة عن المشهد العام المحيط بالقاص من الطبيعة الصامتة المعبرة وإشكال الفعل الإنساني والحيواني في فضاءاته، ولأجل ذلك يقوم القاص بتشغيل هذه المقتربات وخلق الصور والرموز والدوال المعبرة عن تداعيات لحظة حلمية وخيالية معينة على مستوى الخطاب القصصي العام لذلك بدت ألوانه مباشرة وحادة ومعبرة عن وعي متقدم لهواجسه الداخلية المشوبة بسادية. وتتوزع تشكيلاته اللونية كالآتي :

الأبيض

وهي أولى الألوان المعبرة عن رؤاه الكونية وهو يمثل كل معاني الطهر والنقاء عند ((ألان بدأ الجسد يهبط في حركة خفية جدا.. عبر صفحة الماء الساكن كان ثوب الجسد الابيض، بدأ وكأن شفافية الماء تمنحه مزيداً من النصوص والتوهج))^(٣٢). فالجسد المغطى بالبياض يتعرض للقتل والغرق، وهو لون رمزي قائم بذاته وله لغته ودلالته الخاصة، حيث (الخيال هو الملكة الرامزة)^(٣٣) الذي يحقق للقاص كامل تجلياته، وهو عنده مثال ومعادل موضوعي للطهر والبراءة والنقاء، فالأبيض له ميزة على غيره، ولذلك اعتبر ورد العرس، ودليل البراءة والعفة، والعفاف وكان من الصفات المميزة للعروس عند العرب، وبهجة العرس والاحتفال به دليل على الحفاوة والتقدير ليوم العرس، ولذلك اعتبر العرب أن البياض في الورد فيه من الحياة والأمل والجمال ما جعلهم يعتبرونه لوناً مفضلاً فالمبدع لا يلجأ إلى الرمز اعتباطاً وإنما تقوده تجربته الشعورية

دلالة اللون في القصة القصيرة - دراسة في ثلاثة نماذج عراقية

المدرس سنان عبد العزيز عبد الرحيم

الخاصة المضطربة غالباً والتي لا يجد متنفساً للتعبير عنها إلا من خلال الصورة الرمزية على اعتبار إن النفس الإنسانية عرضة لحالات عاطفية وفكرية معقدة وغريبة^(٣٤).
لقد وجد القاص في بيئته الشخصية (الاهوار) ممولاً فعالاً لمفاعيله اللونية على اعتبار ((إن البيئة بمعاملاتها الطبيعية، والخبرة بأستاداتها على الوعي والرؤية، أدتا ضرورة الى تقدم قيم لونية محددة، واستثنائها بحضور كبير في المشهد))^(٣٥) وهي تتحول عند القاص عبدالإله عبدالرزاق الى مجموعة من الخبرات المركزة في عقله والمنعكس بصورة مباشرة على منتج خياله الامر الذي خلق له ثيمات تعامله معها، وهي خبرات قلما تتعرض للانزياح والتراجع لمستجدات ظرفية طارئة، فهي تؤثر على شكل البؤرة الأولية ثم تأخذ بالتطور والنمو التدريجي:

الأخضر

أما اللون الأخضر فهو عند القاص عبد الإله عبد الرزاق يقوم بفعل الإخفاء ومجمل فعاليات الصراع المغلفة بالسرية، وان كان يعد من الألوان الدالة على ديمومة الحياة إلا أنها تحمل قيمة اشارية سلبية لأنه يقوم على التغطية وعدم الإعلان، على اعتبار إن الإعلان فعالية صوت حركية فيها دابنمية الحركة والقوة والشجاعة.
((كانت السماء والنهر في عيني الرجل قريبتين جدا، ثمّة سهب اخضر يتناول على تعلية ترابية تكاد تضيف نصف النهر ولا تبدي منه سوى شريط ناحل يتسنى من بين سيقان السهب، ويتحد بين غابة النخيل إلى مساحة لا تبدو وإنها بعيدة، فهناك جدار اخضر من عشب الغراب يغلف ضفتي النهر ويكاد يتبدى كفاية معتمة...))^(٣٦).

فهذا الامتزاج بين لونين (الأخضر والأزرق) مكونان رئيسيان للطبيعة والمتمثلة بالأعشاب والنباتات والنخيل والماء ويحملان دلالات ديمومة الحياة والتأمل فيه.
وكما في قصة (الكلاب) حيث تتوضح شكل الغابة : ((غابة محروقة بفعل الظلال، أحرش تنفتح مثل أبواب سرية. أشجار بجذوع ضخمة تحدد شكل المكان. سماء غير واضحة تتراءى عبر الأغصان المشتبكة، قريبة منه باستفزاز))^(٣٧).

فالألوان الغامقة الداكنة من اخضر أو أسود فضلاً عن كثافة العشب والقصب الأخضر التي تواجه مقتحم الغابة تمنع الألوان الفاتحة البراقة كالأصفر والأبيض والأزرق من التغلغل والنفاذ داخل الغابة، فهي مقهورة على أسطح أغصان الأشجار الباسقة الواقفة كالحرس لحماية بيئتها الطبيعية ومنطقة نفوذها من الغرياء.

إن تعددية الدلالات والمعاني المحمولة على الرموز تارة والصور تارة أخرى تشير إلى عدم استقرار المعنى في حالة المفرد لأنه غارق في هاجس الجمع، الأمر الذي ينتج أكثر من عالم دلالي واحد، كما لم تعد أسطورة شفافية الإشارة قائمة لأن نظام الاحتمالات لدلالة اللون الواحد صار متعددًا بين السلب والإيجاب وبين القهر والاستسلام، الأمر الذي يُؤلّد تعقيداً في لغة الخطاب وتعقيداً موازياً في الرموز ودلالاتها، وهذا يعني انه كلما اقتربت لغة الخطاب من أسوار الدلالة كلما أدى ذلك إلى ضعف الانزياح الرمزي في اللون داخل النص ويحد من قدراته في تشكيل الصورة الإبداعية فضلاً عن تأثير ذلك السلبي في بؤرة النص المُتعرّض اصلاً إلى قصف تحليلي وتفكيكي عنيف من المتلقي فإذا كان الانزياح متداعياً سرعان ما تتهاوى أسوار الشفرة أو الشفرات النصية بسرعة دون كثير عناء فلا يتحقق المغزى العام للنص سواء من ناحية الأثر النفسي أو الفكري كما لا تتحقق اللذة الشعورية التي تعقب تلقي نص ما، لأنه هنا قليل الألغام والشفرات^(٣٨).

إن الخطاب القصصي عند عبدالاله عبدا لرزاق عبارة عن رؤية تصويرية بحتة أو ما يطلق عليه عادة بـ (الرؤية مع) حيث تتعادل درجة علمية الراوي مع شخصيات القصة كما أن علامات القاص الدلالية المختلفة عبارة عن مجموعة من الشفرات المازجة لعدة تميزات أهمها ندرة الحوارات من جهة وصخب وعنف المواجهات في المشهد البيئي المصور.

فالصورة الناطقة عند القاص افضل وسيلة تعبيرية بارسالياتها القوية كما في هذا المقطع من قصة (السيف): ((كانت ثمة اكمدة ترابية متخثرة تحيط باسفل جذع النخلة وقد نشأ منها جذور غليظة متعجرفة بلون الارض تقطع المسافة بين النخلة والنهر))^(٣٩)

دلالة اللون في القصة القصيرة - دراسة في ثلاثة نماذج عراقية

المدرس سنان عبد العزيز عبد الرحيم

أو في هذا المقطع ((كانت السماء والنهر في عيني رجل قريبتين جدا ثمة سهب
اخضر يتناول على تعلية ترابية تكاد تضيق نصف النهر))^(٤٠).

الأزرق

وهناك الاجتماع المشهدي المتخيل وما له من دلالات نفسية بين التراب المبلل
والنخيل والماء والقصب وهي من أهم مكونات البنية المكانية في اغلب قصص القاص
والجامعة لثلاثة ألوان رئيسية البني والأخضر والأزرق الأمر الذي يحقق لدى المتلقي
وعياً فورياً عن أجواء الحدث الذي يجمع بين نقيضين الحركة والعنف إزاء الصمت،
ويلاحظ ابتعاد القاص عن الانطلاق في الفضاء الرحب باستثناء عدد قليل من قصصه
وخاصة (في مكان ما) وقصة (الزجاج) ففي الأخيرة هذا المقطع الوصفي المصور
((تفتح السماء بين الريح والشمس.. نظيفة زرقاء.. يتطاير شعرها ثم يلتف من جانب
حول عنقها))^(٤١).

فالسماء دلالة كمنوية على الرحابة واللانهائية، وهي تحتوي الرياح بعنفها
ونشاطها والشمس بحرارته العظيمة، أما اللون الأزرق فيدل على بيئة خالية من التلوث،
عذراء لم تمتد الأيدي العابثة إليها، فالأزرق يحيط بشموليته وقوة نفاذ الأصفر (الشمس).

الأصفر الفاتح والرمادي

أما قصة (في مكان ما) ففيها انطلاقة جديدة نحو الصحراء ((أحاطه شريط
الصحراء، مبعثاً بضوء رمادي يشبه حدود جزيرة بعيدة يلهث دخان حرانقها، محصوراً
بين انفتاح الضوء وقتامة البقع الملاصقة للأرض المترامية))^(٤٢) فهنا انزياح لبعض
عناصر البنية المكانية توسعاً نحو الرحاب والشمولية ليحل الرمادي والأصفر محل
الأزرق، إلا أنها تبقى قريبة من البناء العام للرؤيا لأن الصورة اللاحقة أو التالية استمرار
لنفس الصورة الحسية الأولى أي استمرار فعالية التعاطي المفتوح والمتصارع أحياناً بين
بنيتين متلازمتين ومتضادتين الأولى (بنية الجفاف) ويمثله التراب الأصفر الفاتح والبني
والريح واللونان البني والرمادي يساعدان على التركيز والثبات والثانية (بنية البلل) ويمثله

الماء والرطوبة والمساحات الخضراء من نخيل وقصب وبردي ومن المؤكد ان البنية الاولى ممثلة عند القاص للضعف والموت والعطش القحط والثانية ممثلة لفعل العنفوان والحركة والرجولة بمعنى آخر لفعل الإخصاب، فهذه المناظر اللونية بزمنية التصوير لثيمات البنية الحديثة إذا ما تم تعزيزها بمقذوف لفظي ذو دلالة من قصة (الطلع): ((تستطيعين ان تذهبي الليلة.. هذا فال حسن، ليلة واحدة وتبدأ فيك الحياة..))^(٤٣). لثم تفكيك أواصر الشفرة المحاطة بأفئعة نصية عديدة.

إن مثل هذه الصور الإيحائية والحاملة لداينمية شديدة سرعان ما يؤدي إلى تفاعل المتلقي مع النص والفكرة، وبالععمل على تفكيك أواصر الشفرات النصية يخلق لدى الأخير شعوراً طاعياً كلما ارتاد العمل الأدبي واقتحم مجاهله^(٤٤).

من متابعة قصص القاص عبد الإله عبد الرزاق نتوصل الى رؤية شاملة عن الصور اللونية في قصص القاص وهي:

١- إن معظم المشاهد المتخيلة للأحداث هو في زمن الليل أو وقت الأصيل بينما معظم لقطات المناظر الوصفية للطبيعة بالوانها واقعة في زمن النهار وهي ايضا معتمة وملينة بالظلال بفعل كثر الاشجار الغامقة الالوان والحادة المتمثلة بالاخضر والاسود والازرق والابيض فهي تشكيلات لونية باهرة وكثيفة تحجب لون السماء الازرق بمساحتها الهائلة من الظهور.

٢- إن قصص القاص عموما توصلنا الى انه يتفادى عموما ذكر الالوان مباشرة وهو بذلك يتقصد اثاره خيال المتلقي بحيث يسقط او يتراجع امام الهجوم المباشر لخيال القاص، وان تفاديه هذا دلالة ولعله بالتصوير وان الطبيعة خير معبر عن مكنوناته الخاصة.

٣- إن اللون وفعاليات المطابقة والمخالفة الذي يلعبه في تشكيل الصورة الكلية، يعطي لسيمياء النص مساحة دلالية واسعة عندما يمنح الصورة المتخيلة فضاءه ومدياته المطلوبة.

الخلاصة

- بعد هذه الرحلة في عالم الألوان للقصة القصيرة هناك عدد من الملاحظات نخرج بها من هذه الدراسة وهي:
- ١- إن اللون دلالة تعبيرية قوية وجزء فعال وليس مقحم في العمل الأدبي لأنه يتضمن دلالة سيكولوجية تعزز من مضمون الخطاب.
 - ٢- تقوم فعالية إنتاج الألوان على الإدراك للصورة من خلال إدخال المثير إلى الجهاز العصبي ومعالجته وفق بيانات وقواعد ثابتة ومتغيرة ومن ثَمَّ إعادة تفعيله خارجياً على شكل ألوان ورموز.
 - ٣- الاستفزاز النفسي الذي يحدثه اللون في عقل القاص والمتلقي معاً وما يتركه ذلك من تداعيات ايجابية أو سلبية.
 - ٤- الاهتمام باللون ليس وليدة العصر الحديث وإنما يعود إلى أقدم الأزمان فهو من بين أقدم وسائل التعبير البشرية.
 - ٥- اعتبار بعض الديانات اللون رمزاً مقدساً ودلالة أشارية مؤثرة عند أتباعها.
 - ٦- اتخاذ اللون عند بعض الكتاب مضموناً خاصاً ملياً بالتجريب والتعقيد.
 - ٧- إن الألوان (الأزرق والأخضر والأحمر والأصفر والأبيض) هي الألوان السيكولوجية الرئيسية الفاعلة في مفاعيل الأعمال القصصية.
 - ٨- عند تتبع اللون في قصص الكتاب الثلاث نكتشف إن القاص جليل القيسي أكثرهم قلقاً وانشغالاً بالظاهرة اللونية.
 - ٩- اللون عند القاص موسى كريدي دلالة تعبيرية صارخة عن الملل والأمل بالانعتاق عن الفضاء ألمديني، ما أدى إلى أن يتبلور المكان لديه بصورة محددة واضحة المعاني والدلالات.
 - ١٠- أما اللون عند القاص عبد الإله عبد الرزاق فهو ترجمة صريحة ومباشرة عن مشهدية اللقطة الصورية باستخدام طريقة (الرؤية مع) آليةً للرواية الحاملة لمضامين إنسانية مثيرة
 - ١١- بروز ظاهرة الانزياح في نصوص القاصين جليل القيسي وموسى كريدي.

١٢- إن الألوان في قصص هؤلاء الكتاب تعطي للمنتوج الرمزي قيمةً أشارة عالية يتجاوز الجانب المظهري الأولي له. وهكذا فإن الناتج الخيالي يقوم بعملية تجاوز التابوتات السيكلوجية والوقائع المادية لخلق الصورة الرمزية حيث أن الصورة التامة هي تبلور أصيل مع الحقيقة.

١٣- توزيع التشكيلات اللونية لدى القصاصين الثلاث بمعطياتها الدلالية النفسية هي على وفق الجدول الآتي :

الأبيض	الأصفر	الأخضر	الأحمر	الازرق	
اجباني	لا يستخدم في تشكيلات الفاص إلا عرضياً	قيمة سلبية، يشغل كغطاء وقناع يدور خلفه احداث سرية	قيمة سلبية، معادل موضوعي للجفاف والموت	قيمة ايجابية، معادل موضوعي للطهر والنقاء	عبدالإله عبد الرزاق
قيمة سلبية، جمود، تقاليد	قيمة سلبية، جمود، تقاليد	قيمة سلبية، جفاف	قيمة ايجابية	قيمة ايجابية من مزججة الأبيض والازرق يشغل على البيوتوبيا (خيال)	موسى كريدي
قيمة سلبية، معادل موضوعي للموت	قيمة سلبية، قوة وبتش	قيمة سلبية، قاهر يتحول في الأسطرة إلى قيمة ايجابية	الأصفر الليموني، قيمة ايجابية، أحتفالي	قيمة سلبية، يتحول إلى قيمة ايجابية في الأسطرة	جليل القيسي

الهوامش

- ١- ينظر: قراءة في القصة العراقية الحديثة، ياسين النصير، جريدة الزمان، العدد ١٥٢٥ في ٦/٨ / ٢٠٠٣.
- ٢- ينظر: الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث، محمد علي كندي دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠٠٣ : ٢٨
- ٣- ينظر: المتخيل القصصي بين الصورة والرمز، بحث منشور، سنان عبد العزيز، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد ١٣، العدد ٧، آب ٢٠٠٦ : ١٥٣

دلالة اللون في القصة القصيرة - دراسة في ثلاثة نماذج عراقية

المدرس سنان عبد العزيز عبد الرحيم

- ٤- منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، د. صلاح فضل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨ : ١١٥
- ٥- إيقاع اللون، د. علوي الهاشمي، من إصدارات مهرجان المرید التاسع : ٧
- ٦- سايكولوجية إدراك اللون والشكل، قاسم حسين صالح، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٢ : ١٥
- ٧- المتخيل القصصي بين الصورة والرمز : ١٥٥
- ٨- ينظر: القصة القصيرة عند جليل القيسي، سنان عبد العزيز، رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة الكاتبة، غير منشورة، جامعة تكريت، كلية التربية، سنة ٢٠٠٠ : ٦٩ - ٨٧
- ٩- سايكولوجية إدراك اللون والشكل : ٥
- ١٠- زليخة البعد يقترب، مجموعة زليخة البعد يقترب، وزارة الإعلام، مطبعة الأديب، بغداد، ١٩٧٤ : ١٧٧
- ١١- الضفة الأخرى من البحر، مجموعة سهيل المارة حول العالم، جليل القيسي، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٦٨ : ٤٢
- ١٢- تلال الملح، مجموعة زليخة البعد يقترب : ١٦٩
- ١٣- زليخة البعد يقترب : ١٧٧
- ١٤- جماليات المكان، جاستون باشلر، ترجمة غالب هلسا، إصدار دار الجاحظ للنشر، بغداد، طبع دار الحرية، بغداد ١٩٨٠ د. ط : ٢٥١
- ١٥- لحن في قاع ازرق، مجموعة سهيل المارة حول العالم، جليل القيسي، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٦٨ : ١١٣
- ١٦- ينظر: المتخيل الشعري، د. محمد صابر عبيد، الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق، دار الشؤون الثقافية العامة، ط ١، ٢٠٠٠ : ١٧٤
- ١٧- نيدابة، مجموعة مملكة الانعكاسات الضوئية (مجموعة قصصية)، جليل القيسي، دار الشؤون الثقافية العامة ت بغداد ١٩٩٦:٥٤
- ١٨- الميثوبي، مجموعة مملكة الانعكاسات الضوئية: ١٢٤

- ١٩- مملكة الانعكاسات الضوئية : ٣٥
- ٢٠- نيدابة : ٥٨
- ٢١- سهيل المارة حول العالم : ٣٢
- ٢٢- الحية، مجموعة غرف نصف مضاءة، موسى كريدي، وزارة الإعلام، بغداد، دار الرشيد للنشر، دار الحرية للطباعة، ١٩٧٩: ١٦٠
- ٢٣- دوار وثلج في نهار قصير، مجموعة أصوات في المدينة، موسى كريدي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٨ : ١٧
- ٢٤- ينظر: اللغة واللون، د. أحمد مختار عمر، نشر عالم الكتب، القاهرة : ١٩٥
- ٢٥- إزاء السور والجسد، مجموعة غرف نصف مضاءة : ٢٩٨
- ٢٦- رواق منتصف الليل، مجموعة غرف نصف مضاءة : ٥٩
- ٢٧- نداء البحر، مجموعة غرف نصف مضاءة: ١٢٥
- ٢٨- شعر ابن خفاجة دراسة اسلوبية، رسالة ماجستير، بسمة محفوظ عبدالله، كلية الاداب، جامعة الموصل، ٢٠٠٢ : ٧٧
- ٢٩- نداء البحر : ١٢٥
- ٣٠- اللحم، مجموعة غرف نصف مضاءة: ١٧٦
- ٣١- قوس قزح بعيد، مجموعة غرف نصف مضاءة: ١٢٠
- ٣٢- لاوفيليا جسد الأرض، مجموعة بنفس العنوان، عبدالاله عبدا لرزاق، دار الحرية للطباعة بغداد: ٣٢
- ٣٣- مفاهيم نقدية، رينيه ويليك، ترجمة د. محمد عصفور، سلسلة عالم المعرفة، مطابع الرسالة، الكويت، ١٩٨٧. د.ط : ١٢٣
- ٣٤- الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث، محمد علي كندري، دار الكتاب الجديد، ط١، ٢٠٠٣ : ٣١
- ٣٥- المتخيل الشعري : ١٦٣
- ٣٦- السيف : ٥
- ٣٧- الكلاب : ٣٨

دلالة اللون في القصة القصيرة - دراسة في ثلاثة نماذج عراقية

المدرس سنان عبد العزيز عبد الرحيم

٣٨- ينظر: الأدب والدلالة، ت. تودوروف، ترجمة د. محمد نديم خشفة، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا، ط١، ١٩٩٦ : الصفحات ٣٣ وما بعدها وينظر: علم الدلالة، كلود جرمان وريمون لوبلان، ترجمة د. نور الهدى لوشن، دار الفاضل، دمشق، ١٩٩٤: الصفحات ١٣ وما بعدها وينظر: المتخيل السردى، عبد الله إبراهيم، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٠: الصفحات ٦١ وما بعدها.

٣٩- السيف : ٥

٤٠- نفسه : ٥

٤١- الزجاج : ٧٦

٤٢- في مكان ما : ٥٢

٤٣- الطلع : ٩٣

٤٤- الرمز والقناع في الشعر العربي : ٤١

المصادر

- ١- الأدب والدلالة، ت. تودوروف، ترجمة د. محمد نديم خشفة، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا، ط١، ١٩٩٦، ١
- ٢- إيقاع اللون، د. علوي الهاشمي، من إصدارات مهرجان المرید التاسع
- ٣- أوفيليا جسد الأرض (مجموعة قصصية)، عبدالاله عبد الرزاق، دار الحرية للطباعة ١٩٧٣
- ٤- جماليات المكان، جاستون باشلر، ترجمة غالب هلسا، إصدار دار الجاحظ للنشر، بغداد، طبع دار الحرية، بغداد ١٩٨٠ د. ط
- ٥- الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث، محمد علي كندري، دار الكتاب الجديد، ط١، ٢٠٠٣
- ٦- سيكولوجية إدراك اللون والشكل، قاسم حسين صالح، دار الرشيد للنشر، بغداد ١٩٨٢

- ٧- غرف نصف مضاءة (مجموعة قصصية)، موسى كريدي، وزارة الإعلام، بغداد دار الرشيد للنشر، دار الحرية للطباعة /١٩٧٩
- ٨ - قراءة في القصة العراقية، ياسين النصير، جريدة الزمان، العدد ١٥٢٥ في ٦/٨ /٢٠٠٣
- القصة القصيرة عند جليل القيسي، سنان عبد العزيز، رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة الكاتبة غير منشورة، جامعة تكريت، كلية التربية، سنة ٢٠٠٠
- ٩- اللغة واللون، د. احمد مختار عمر، عالم الكتب للنشر، القاهرة، ٢٠٠٢.
- ١٠ - مجموعة سهيل المارة حول العالم (مجموعة قصصية)، جليل القيسي، دار النهار للنشر بيروت، سنة ١٩٦٨، د.ط
- ١١- مجموعة زليخة البعد يقترب (مجموعة قصصية)، جليل القيسي، وزارة الإعلام، العراق، مطبعة الأديب بغداد ١٩٧٤، د. ط
- ١٢- المتخيل القصصي بين الصورة والرمز، بحث منشور، سنان عبد العزيز، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد ١٣، العدد ٧، آب ٢٠٠٦
- ١٣- المتخيل الشعري، د. محمد صابر عبيد، الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق، دار الشؤون الثقافية العامة، ط ١، ٢٠٠٠
- ١٤- المتخيل السردي، عبد الله إبراهيم، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط ١، ١٩٩٠
- ١٥- مفاهيم نقدية، رينيه ويليك، ترجمة د. محمد عصفور، سلسلة عالم المعرفة، مطابع الرسالة، الكويت، ١٩٨٧ د.ط
- ١٦- مملكة الانعكاسات الضوئية (مجموعة قصصية)، جليل القيسي، دار الشؤون الثقافية العامة ت بغداد ١٩٩٦
- ١٧- معجم مصطلحات الألوان ورموزها، وضاح يوسف الحلو، جريدة النهار، بيروت، العدد ٩٢٤٦١، في ٢٠ / ٦ / ٢٠٠٢
- ١٨- منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، صلاح فضل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨، د. ط

Abstract

Many Criticizers agree on to consider the operation of narration story writing is amanita activity and it has its ability on gradual development and get use from the given and its fancy pictures.

There for it is not from exclude to consider the color and its strong expression remark is vital part and not impose in the strict statement, even though it appeared in the poetry statements more using.

It has been taken this research from three of Iraqi story writes as a field for study, and they are : Jelei / AL- Kaicy, Muss a Kreddy and Abdel Elah Abdel Rezak, to study the colorful phenomenon and its using with bearing Abilities and new characterizations.

The subject to use the colour in the new story consider from the important subjects, which is bond with the psychological condition in the story writer, Therefore this study may reach to many results :-

- 1- The colour ability to give the story psychological dimensions and high significant value.
- 2- Recognize the colour in the story writer Jeleil AL-Kaicy dealing with reaty oppositly and negatively. So he is able for creation andcreate asense of cheer and happiness.
- 3- Turn over the colour in the story writer Mussa Kreddy to the expreion sign refer refer to the idleness and fear from the living reality to the city.
- 4- The colour possibility in the story writer Abdel Elah Abdel Rezak in the expression to the concord with the environment, Marshs environment and the can in picturing not abias enogh

With my best wishes.